السباحة ضد التيار

آلان ويتلي يقدم لمحة عن **نانسي بيردسول**، الرئيس المؤسس لمركز التنمية العالمية

نحيلة وترتدي نظارات طبية، وتتسم بالتريث والتعقل. هكذا تبدو نانسي بيردسول كشخصية متحفظة تنأى بنفسها غالبا عن المتاعب والمشكلات. ولكن المظاهر قد تكون خادعة.

فالسيدة نانسي ترأس مركز التنمية العالمية، وهو مستودع فكر في واشنطن شاركت في تأسيسه عام ٢٠٠١، واكتسب صيتا لكونه مبتكرا بالرغم من انحرافه الملحوظ عن إطار المألوف. ورغم أن المركز يعتبر حاليا من الرواد في مجاله، لا تزال بيردسول ترغب في أن تصوره على أنه مختلف عن أقرانه وبمعزل عنهم إلى حد ما. وقالت في لقائها مع مجلة التمويل والتنمية «نحن نسبح ضد التيار طوال الوقت في محاولة منا لدفع النظام إلى معالجة المشكلات في طريقة عمله، وهي مشكلات تؤدي عادة إلى جعل حياة الفئات الضعيفة أكثر صعوبة وتعقيدا».

وبالنسبة لبيردسول التي تنحَّت مؤخرا عن منصبها كرئيس لمركز التنمية العالمية ولكنها تظل ضمن كبار زملاء المركز، فالتنمية يجب ألا تقف عند مجرد تقديم المساعدات، بل يجب أن تتخطى هذا الدور بكثير. وتحديدا، يجب أن يكون الهدف هو ضمان عدم صياغة قواعد التعامل مع القضايا العالمية كالتجارة والهجرة وتغير المناخ ضد مصلحة الفقراء. وتحقيقا لهذا الهدف، تسعى البحوث التي يجريها مركز التنمية العالمية إلى كشف كيفية تأثير سياسات حكومات البلدان الغنية والمؤسسات المالية الدولية على شعوب العالم النامي، وكيفية تحسين تلك السياسات بغرض الحد من الفقر وعدم المساواة.

وتقول بيردسول «أعتقد أن المختصين بالتنمية والمجتمع الدولي أكثر ميلا إلى هذا الاتجاه في الوقت الحالي». «أشعر أن أهميتنا الكبيرة تنبع من أننا ابتكرنا أفكارا جديدة. فنحن لم نقتصر على القول بأنه ينبغي تغيير هذه السياسات أو تحسينها. لكننا ابتكرنا حلولا جديدة لمعالجة هذه المشكلات على المستوى العالمي باستخدام سبل عملية ومنطقية».

ومن بين المبادرات التي تُنسب إلى المركز مبادرة «الالتزام بمؤشر التنمية»، التي تقوم على تصنيف ٢٧ بلدا غنيا إلى مراتب من حيث السياسات المؤثرة على الفقراء حول العالم، وسندات الأثر الإنمائي التي تهدف إلى تعبئة التمويل الخاص، ومبادرة تشجيع المجتمع الدولي على تبني منهج قائم على القرائن في تنفيذ برامج التنمية. وتتمثل إصداراته الأشهر على الإطلاق في كتاب بعنوان *Millions Saved*، وهو عبارة عن مجموعة من دراسات الحالة الناجحة في قطاع الصحة العامة يشيع استخدامه حاليا كوسيلة تعليمية.

المفكرون الأوائل

يصف كونال سين، أستاذ اقتصادات التنمية والسياسة بجامعة مانشستر بالمملكة المتحدة، البحوث الصادرة عن مركز التنمية العالمية بأنها تشجع على التفكير، ويقول إنها من القراءات التي يطلبها من طلابه. ويقول سين «يتميز المركز بطرحه للأفكار الجديدة والفكر المبتكر بشأن مختلف الموضوعات». وهو ينسب لبيردسول الفضل في اختيار أوائل المفكرين الذين انضموا إلى المركز، مثل مايكل كليمنس ولانت بريتشت وأوين باردر، مدير قارة أوروبا بالمركز. ويقول سين «أصبح المركز في وقت قصير جدا من مستودعات الفكر الرائدة في مجال سياسات التنمية». «فقد جمع بين إجراء بحوث قوية وشاملة للغاية من جهة، وتقديم مشورة فعالة على مستوى السياسات والتأثير عليها من جهة أخرى.»

وعلى غرار أمور كثيرة تحدث في واشنطن، بدأت فكرة مركز التنمية العالمية خلال مأدبة غداء. فالسيد إد سكوت، وهو صاحب عدد من المشروعات ومسؤول كبير سابق بالحكومة، كان يرغب في تمويل منظمة غير حكومية مختصة بإدارة الديون. وبعد التشاور مع خبراء معروفين مثل تيم غايتنر، وجين سبيرلنغ، والراحلة كارول لينكاستر، ومسعود أحمد من صندوق النقد الدولي، أصبح لدى سكوت قناعة بأن مستودع الفكر ينبغي أن يعالج أيضا قضايا مثل الحوكمة والصحة والتعليم.

ولكن من ينبغي أن يرأس هذا الكيان؟ أثناء تناول الغداء بمطعم أوكسيدنتال مع نايري وودز التي تعرف عليها أثناء فترة دراسته بجامعة أكسفورد، استعرض سكوت قائمة بالمرشحين المحتملين أعدها غايتنر. أما ووودز، التي تشغل حاليا منصب أول عميد لكلية بلافاتنيك للدراسات الحكومية بجامعة أكسفورد وأستاذ إدارة الاقتصاد العالمي، فقد رشحت بيردسول بشدة. وذهب كلاهما لمقابلة فريد بيرغستين، الذي كان يشغل في هذا الوقت الكيان الذي تحول لاحقا إلى معهد بيترسون للاقتصاد الدولي، والذي وافق على رعاية برنامج بحثي بشأن الديون بتمويل من سكوت. وأخبرهما بيرغستين أنه يفكر في شخص ما لإدارة المشروع — نانسي بيردسول.

ويقول سكوت متذكرا ما حدث «خلال ساعة واحدة اتفق شخصان مستقلان من اتجاهين مختلفين على ترشيح نانسي». وحتى هذه اللحظة، لم يكن سكوت قد التقى قط بنانسي التي تتمتع بخبرة طويلة في العمل مع البنك الدولي وبنك التنمية للبلدان الأمريكية. ولكنه تدارك هذا الأمر سريعا ووجد أنهما يتفقان على نفس الآراء والأفكار. وهكذا خرج إلى حيز الوجود مركز التنمية العالمية الذي اشترك في تأسيسه سكوت وبيردسول وبيرغستين.

وتتذكر بيردسول إصرار سكوت على أن المركز الجديد ينبغي أن يكون الهدف منه التأثير وألا يكون «معزلا لخبراء الاقتصاد». واتفق ذلك مع وجهة نظرها، حيث كانت ترى أنه رغم عدم الحاجة إلى مستودع فكر آخر يقدم المشورة للبلدان النامية بشأن ما يتوجب عليها القيام به، كان يوجد دور شاغر لمركز يركز على كيفية قيام البلدان الغنية بتحسين سياساتها لصالح الفقراء. وتقول بيردسول «بعد مرور ٢٠ عاما تقريبا من العمل مع البنوك متعددة الأطراف، رأيت أن الوقت ملائم لدراسة سياسات الولايات المتحدة الأمريكية، والبلدان الأوروبية، وغيرها، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والمؤسسات الأخرى متعددة الأطراف، ومنظمة الأمم المتحدة والشركات ومراقبتها ورصدها وتقييمها ومحاولة تعديلها لجعلها مواتية بدرجة أكبر للتنمية».

أفضل من المتوقع

ويقول سكوت إن مركز التنمية العالمية فاق توقعاته، حيث عمل به عدد أكبر من الباحثين على نطاق أوسع كثيرا مما كان يتوقع. ويضيف قائلا «أنا راض تماما عن أداء المركز. فهو مؤسسة من الطراز الأول». وقد تنحى سكوت عن منصبه كرئيس مركز التنمية العالمية العام الماضي، وتسلم لورنس سامرز وزير الخزانة الأمريكية السابق زمام الأمور، وكان يعرف بيردسول منذ أن كانت تعمل بالبنك الدولي. ويقول سكوت «لم يكن ليفعل ذلك بالطبع إن لم يكن مؤمنا بأن هذه المؤسسة جديرة باهتمامه».

أصبح مركز التنمية العالمية بقيادة نانسي أفضل مثال على مستوى العالم «لمستودعات الفكر والعمل».

ومدح سامرز بالفعل بيردسول لقيامها بجمع مجموعة استثنائية من الخبراء الذين يصنعون فرقا حقيقية في سياسات التنمية على حد قوله. ويقول سامرز الذي يشغل حاليا منصب أستاذ علوم الاقتصاد والرئيس الفخري بجامعة هارفارد «أصبح مركز التنمية العالمية بقيادة نانسي أفضل مثال على مستوى العالم لمستودعات الفكر والعمل. فقد وضع حلولا لأهم القضايا، بدءا من تخفيف أعباء الديون النيجيرية إلى إحراز جوائز في مجال تطوير الدواء، ومن الحفاظ على الغابات إلى الحفاظ على استمرارية التمويل التجاري.»

وقبل إنشاء مركز التنمية العالمية، عملت بيردسول مديرا لمشروع الإصلاح الاقتصادي بمؤسسة كارنيغي للسلام الدولي. وقبل ذلك، شغلت بيردسول منصب نائب رئيس بنك التنمية للبلدان الأمريكية، كما عملت لمدة ١٤ عاما في البنك الدولي حيث ترقت حتى وصلت إلى منصب مدير الإدارة المختصة ببحوث السياسات.

ولدت بيردسول في نيويورك عام ١٩٤٦، ولم تعمل مباشرة في مجال الاقتصاد. فعقب حصولها على درجة البكالوريوس في الدراسات الأمريكية من كلية القلب المقدس في مدينة نيوتن بولاية ماساتشوستس، استكملت دراستها وحصلت على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من كلية جونز هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة في واشنطن. وهناك أصبحت بيردسول مهتمة بالتنمية — حيث كانت دراسة الماجستير عن قيادي عمالي شارك في حرب الاستقلال بكينيا — ولكنها لم تع أساسيات الاقتصاد إلا بعد عملها كمحلل سياسات في برنامج سكاني ممول من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية. فخلال

عملها في تقييم المقترحات المقدمة من الخبراء الإفريقيين، أثار استغرابها أن خبراء الاقتصاد كانوا الأقدر على إثبات وجهات نظرهم في الدراسات المقدمة منهم.

وقد استفادت من توجيهات غير مباشرة من خبير اقتصادي زميل في كتابة أوراق بحثية عن الخصوبة وتنظيم الأسرة وعمل المرأة. وأصبحت بيردسول أكثر اقتناعا بمرور الوقت بأن خبراء الاقتصاد «هم الأقرب إلى المنطق» وأنها تحتاج إلى التدريب على استخدام أدوات المهنة. وبعد مرور خمس سنوات من إتمام شهادة الماجستير، التحقت بيردسول بجامعة ييل وحصلت على درجة الدكتوراه في الاقتصاد.

وإلى جانب خبرتها المهنية، ساعدت شخصية بيردسول في رأي سكوت على نجاح مركز التنمية العالمية. ويقول سكوت «الناس يحبونها، فهي تستمع لما يقوله الناس، وحديثها منمق للغاية، وهي سفيرة ممتازة للمؤسسة، كما أنها شخص لطيف للغاية». ويضيف قائلا «جميع هذه الأمور كان لها بالغ الأثر في نجاح المركز. ولكن هل يمكننا القول إن نانسي هي الوحيدة التي كانت تستطيع ذلك - من يعلم ؟ فالأمر كما لو كنت تسأل هل كانت فرقة يوتو لتحقق ما حققته بدون بونو. من يعلم؟»

وتقول ميشيل دي نيفير، باحثة بمركز التنمية العالمية، التي كانت قد عينتها بيردسول في البنك الدولي في البداية، «ما يميز بيردسول كرئيس هو الفضول القوي في مجالات عديدة. وهذا يشجع الناس على الدخول في مجالات لم تكن لتثير اهتمامهم لولا ذلك». وفي كلمة كريستين لاغارد مدير عام صندوق النقد الدولي في مركز التنمية العالمية خلال الاحتفال بعيده الخامس عشر، مدحت بيردسول «على طريقتها في دفعنا إلى التفكير خارج الصندوق بابتسامة وإصرار وقوة».

نزاهة مرموقة

ويتحدث ويليام إسترلي، أستاذ الاقتصاد بجامعة نيويورك، بصورة متكررة عن نزاهة بيردسول عندما يفسر الكيفية التي اكتسب بها مركز التنمية العالمية سمعته القوية. فمثلما لم تخضع بيردسول لأي قيود خلال عملها لدى بنك التنمية للبلدان الأمريكية أو البنك الدولي، فقد سعت جاهدة نحو تشجيع حرية الأفكار في المركز وعدم الحكم مسبقا على الشواهد التي يتوصل إليها باحثوها. يقول إسترلي «عندما كانت تقول في المركز إن المساعدات مفيدة، كان من الواضح أن ذلك نتاج تفكير عميق وليس لخدمة أغراض سياسية أو سياسات معينة. وهذا أحد أسباب نجاح المركز. فمنتقدو المساعدات ومؤيدوها كانوا يحترمون نانسي. فنانسي ببساطة كانت معروفة بنزاهتها».

ويتحدث إسترلي عن تجربته الخاصة للتأكيد على هذا الرأي. فبيردسول كانت رئيسة إسترلي خلال عملهما بالبنك الدولي، وتعاقدت معه للعمل في المركز بعد أن «حثه البنك على طلب إجازة مفتوحة» عقب إبداء آراء مثيرة للجدل في بث مباشر. ويتذكر قائلا «لقد شعرت بالفعل كما لو كانت نانسي تمنحني لجوءا سياسيا». وقد تطلب هذا الأمر شجاعة من جانبها نظرا لأنه كان من الممكن أن يثير استياء البنك أو إحدى مؤسساته الأخرى. وهذا دليل على نزاهتها».

وبنفس الروح، يقول إسترلي إن بيردسول دافعت بشدة عن البحث الذي أعده كليمنس، وهو أحد الباحثين بالمركز، مؤيدا فيها حرية الهجرة إلى البلدان الغنية من البلدان الفقيرة. ويقول إسترلي «لقد تلقى خطابا يحمل الكثير من الكراهية، ولكن نانسي كانت مستعدة لتحمل الجدل. فأي شخص بيروقراطي أكثر تحفظا يترأس مستودع فكر كان ليطلب منه أن ينهي الحديث في هذا الموضوع، ويوجد كثيرون من هذا النوع في واشنطن».

وقد استطاعت بيردسول النجاح في مسيرتها المهنية في حين كانت تربي ابنتيها وولدها، لذلك ليس من المستغرب أن ترى في نفسها أوجه شبه كثيرة مع شيريل ساندبيرغ، مديرة العمليات بمؤسسة فيسبوك التي تصف نفسها بأنها من أنصار المساواة بين الجنسين. وكتبت بيردسول تعليقا أثنت فيه على كتاب شيريل *Lean In* الذي يهدف إلى تشجيع المزيد من النساء على القيام بأدوار قيادية. وساندبيرغ، التي كانت أحد أعضاء مجلس إدارة مركز التنمية العالمية، ساعدت بيردسول أن ترى في نفسها شخصا أكثر طموحا وقوة مما كانت تعتقد، وأنه لا يوجد داع لأن تشعر بالذنب بسبب سفرها المتكرر عندما كان أبناؤها لا يزالون في سن صغيرة. وتقول بيردسول «لقد كنت أشبه بساندبيرغ سابقة لزمنها». وربما كان ذلك لعدة أسباب منها أن بيردسول أتمت جميع مراحل تعليمها وصولا إلى الجامعة على أيدي راهبات كن يدرن حياتهن الخاصة وفق هيكل هرمي خاص بهن. وتقول بيردسول في حديثها مع مجلة التمويل والتنمية «حتى إذا/عندما كنت أستخف بهن، فالحقيقة أنه كان في استطاعتهن إدارة مجتمعاتهن. لقد كن نساء مستقلات حقا تدرن حياتهن الخاصة بشكل مستقل». ثم تفكر بيردسول وتقول إنها كانت تعتبرهن «لا شعوريا» «نقيضا للمجتمع المزدهر غير المناصر لحقوق المرأة في فترة ما بعد الحرب بضواحي نيويورك» خلال خمسينات القرن الماضي.

وتقر بيردسول بأن أقلية قليلة من النساء في العالم تتاح لهن الفرص التي أتيحت لها ولساندبيرغ. والبلدان الفقيرة دائما ما لا يخدمها الحظ. وتقول بيردسول «إن عملية العولمة بأكملها تفتقر إلى الاتساق». فالقواعد الدولية غير محايدة لأن السوق غير محايدة. «عادة ما تعطي الأسواق أفضلية لمن يملكون بعض الأصول، سواء تعليم أو أصول مالية، أو مؤسسات سليمة في حالة البلدان».

لذلك ترى بيردسول حاجة إلى تطبيق سياسات تساعد في إيجاد منافسة عادلة بين الجميع. وهي تفكر في أمور مثل تمويل التعليم العام والبنية التحتية العامة. ويحقق الاقتراض لبناء الطرق والموانئ والنقل العام منافع ملموسة، لا سيما بالنسبة للفقراء، مما يجعلها ترغب في اضطلاع البنك الدولي وبنوك التنمية الإقليمية بدور ريادي أكبر في هذا الصدد. وتشير بيردسول إلى أن البلدان الغنية المساهمة في البنك الدولي تقلق كثيرا إزاء مخاطر الصيت المقترنة مثلا بقرض لتمويل سد مائي لتوليد الطاقة الكهربائية. وتقول «عندما تقترض بغرض الاستثمار، فإنك تحقق نموا يمكنك بالتالي من سداد ديونك. وهذا أمر في غاية الأهمية وهو أساس العمل الإنمائي».

الصلاحيات والأموال

كذلك ترغب بيردسول في حصول البنوك متعددة الأطراف على صلاحيات واضحة — وأموال — من الحكومات المساهمة فيها بما يمكنها من تقديم سلع عامة عالمية، مثل البحوث الزراعية، تعود بالفائدة على شعوب البلدان الغنية والفقيرة على حد سواء. (راجع المقال بعنوان «المعرفة كسلعة عامة» في هذا العدد من مجلة التمويل والتنمية). وقد أسعدتها المبادرة الجديدة التي أطلقها البنك الدولي بهدف حماية الفقراء من الأوبئة. ولكنها تشعر بالإحباط نظرا لأن البنك لم يكلف رسميا من قبل بمعالجة المشكلات التي تعوق العمل الجماعي العالمي ولم توفر له الأدوات اللازمة لذلك. فالقروض التقليدية التي تمنح للبلدان ليست كافية. وتشكو بيردسول قائلة «أفكر كثيرا في هذا الأمر منذ ما يزيد على عشر سنوات. فالأموال المنصرفة على المشكلات العالمية ليست كافية».

وإلى جانب اهتمام بيردسول بالسلع العامة العالمية، يعرف عنها أيضا اهتمامها الكبير بالمساعدات المستندة إلى النتائج، وهو منهج استحدثه مركز التنمية العالمية بغرض زيادة فعالية المساعدات. ويعرف هذا المنهج أيضا باسم «الدفع عند التنفيذ»، وتتمثل فكرته في الدفع مقابل تحقق النتائج الإنمائية بدلا من الدفع لتمويل المدخلات. فبدلا من تقديم المساعدات مقدما بغرض تطوير التعليم على سبيل المثال، لا يتم دفع الأموال إلا بعد الالتزام بمقاييس الأداء المتفق عليها.

فعلى سبيل المثال، يمكن الالتزام بمنح حكومة ما ١٠٠ دولار أمريكي سنويا عن كل طفل جديد يكمل مرحلة التعليم الابتدائي وينجح في الامتحان. وللحكومة مطلق الحرية في اختيار كيفية تحقيق هذا الهدف. فقد يكون ذلك من خلال بناء مدارس أو رفع أجور المعلمين. ولكن قد تكمن المشكلة في أن الطرق الموحلة لا يمكن المرور عليها خلال جزء من العام، ولا يمكن للمعلمين بالتالي قيادة دراجاتهم أثناء ذهابهم إلى مدارسهم. وتقول بيردسول «ينشأ حتما نوع من القصور إذا لم يتم إشراك أصحاب المصلحة الفعليين في المخاطر والمسؤوليات سواء بصورة ضمنية أو صريحة». وقد تعلمت هذا الدرس خلال ثمانينات القرن الماضي أثناء عملها على مشروعات الصحة والتعليم التي يمولها البنك الدولي في شمال شرق البرازيل. وقالت بيردسول خلال مؤتمر نظمته الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية خلال عام ٢٠١٢ «لقد كنت مهتمة للغاية بتخطيط المدخلات وبدء المشروعات وصرف الأموال، وليس بالكيفية التي أرادت بها البرازيل تحقيق النتائج المرجوة».

سعت بيردسول جاهدة نحو تشجيع حرية الأفكار في المركز وعدم الحكم مسبقا على الشواهد.

وفي عام ٢٠١٠، كانت إدارة المملكة المتحدة للتنمية الدولية وإثيوبيا أول من نفذ برنامج مساعدات تجريبي باستخدام نموذج الدفع عند التنفيذ. وأقرت دراسة صدرت عن مركز التنمية العالمية في عام ٢٠١٥ بأن الفكرة قد تأخر تنفيذها، ولكن بيردسول تتميز بالإصرار. وتعترف بيردسول بأنه قد يصعب قياس النتائج والتحقق منها في بعض المجالات، ولكن ليس في مجالات أخرى. فعلى سبيل المثال، أوضح المركز كيف يمكن استخدام البيانات التي يتم جمعها باستخدام الأقمار الصناعية في إثابة الحكومات التي تنجح في الحد من عمليات إزالة الأشجار.

ويوجد شكل آخر من أشكال المساعدات المستندة إلى النتائج استحدثه أيضا مركز التنمية العالمية، وهو عبارة عن خطة حوافز تسمى «الالتزامات المسبقة بالشراء». وكان رؤساء مالية مجموعة السبعة قد وافقوا على الفكرة في عام ٢٠٠٩ وتعهدوا بشراء أي لقاح لمرض معين بمجرد إنتاجه. ومنذ هذا الوقت، تعهدت خمسة بلدان ومؤسسة بيل وميليندا غيتس (من مموّلي مركز التنمية العالمية) بتقديم ١,٥ مليار دولار أمريكي إلى برنامج تجريبي لإنتاج لقاح لمكافحة أنواع البكتيريا المسببة لمرض المكورات الرئوية في البلدان النامية. ويرجى من هذا البرنامج الحيلولة دون وفاة أكثر من ١,٥ مليون طفل بحلول عام ٢٠٢٠. وأوضح المركز في الآونة الخيرة كيف يمكن لبنوك التنمية متعددة الأطراف تقديم حوافز لشركات الدواء لتشجيعها على التصدي لمقاومة الميكروبات للأدوية، وهي مشكلة تصدرت سريعا جدول الأعمال العالمية.

الدفاع عن توافق واشنطن

إذا كانت بيردسول تؤيد بشدة صرف مزيد من الأموال على السلع العامة العالمية، فذلك لأن الفقراء هم الأكثر عرضة للتأثر بالمخاطر العابرة للحدود، مثل الأمراض المعدية والأزمات المالية. ومن المنطلق نفسه، فإن إنتاج لقاحات جديدة ومكافحة تغير المناخ يعودان بالنفع الأكبر على الفقراء. غير أن توفير السلع المالية العالمية، أو تقديم المساعدات، ليسا حلا لجميع المشكلات. فالتنمية تبدأ من الداخل، كما يتضح من نجاح الصين والهند. وبالمثل، نجد أن البلدان الإفريقية التي حققت نموا سريعا خلال العشر أعوام إلى الخمسة عشر عاما السابقة قد عملت بسياسة الانفتاح الاقتصادي ودعم أسس الاقتصاد الكلي. وتقول بيردسول «أعتقد أنه من المهم تكرار هذه التجربة مرارا». وبيردسول هي تلك الشخصية النادرة التي تدافع بقوة عن توافق واشنطن، وهو عبارة عن قائمة تتضمن ١٠ توصيات بشأن كيفية إدارة اقتصاد السوق التي وضعها جون ويليامسون عام ١٩٨٩ والذي كان زميلا لبيرغستين فيما كان يعرف وقتها باسم معهد الاقتصاد الدولي. ويرى النقاد أن توافق واشنطن مهد الطريق الفكري للسياسات الأصولية التي أصابت الاقتصادات النامية بأضرار بالغة، بما في ذلك فرض جهات الإقراض متعددة الأطراف لشروط صارمة وطلبات مسبقة بتحرير رأس المال. ولكن بيردسول تقول إن الغرض من هذا النقد هو الإساءة إلى ويليامسون الذي ينبغي أن تُفهم مقترحاته على أنها برنامج يهدف إلى استقرار الاقتصادي الكلي والتنمية القائمة على السوق. وتضيف قائلة «أغفلت المناقشات أن بعض الجوانب في توافق واشنطن منطقية للغاية». فبلدان مثل غانا وكينيا والسنغال وتنزانيا كانت تبلي بلاء حسنا خلال العقد الماضي ـ حتى تراجع أسعار السلع الأساسية — بفضل تعزيز أسس الاقتصاد الكلي.

وتقول بيردسول إن الاقتصاد الجزئي هو التحدي الأكبر بالنسبة لهذه البلدان. فمؤسساتها السياسية لا تزال ضعيفة، والدولة غير قادرة على تحقيق إيرادات ضريبية كافية لتقديم الخدمات العامة. لذلك فإن هدف التنمية ينبغي أن يكون بناء طبقة متوسطة يمكن فرض الضريبة عليها مما يعطيها الحافز لمساءلة الحكومة. وتقول بيردسول «إن التنمية ترسخ مبادئ المساءلة والشفافية على المستوى العالمي وعلى المستوى المحلي بوصفها مبادئ أساسية لتحقيق النمو —نمو شامل للجميع».

ماذا بعد

تعتزم بيردسول أن تقلل من تواجدها بمركز التنمية العالمية خلال فصل الخريف لإتاحة الفرصة للرئيس الجديد لإعداد جدول أعمال المركز قبل أن تستأنف عملها كباحثة وكاتبة لمدونات وأعمدة ومقالات. وسوف تعمل بيردسول على أساس عدم التفرغ حتى يتسنى لها رؤية أحفادها في كولورادو كثيرا وقضاء الوقت في منزلها الثاني في فيرمونت لممارسة الزراعة في حديقتها وقراءة مزيد من الأعمال غير القصصية والاستماع إلى الموسيقى — فزوجها يعزف على الجيتار وولدها عازف بيانو/مؤلف موسيقي محترف «مكافح». وتقع فيرمونت على مقربة من كلية ويليامز في غرب ماساتشوستس حيث تقوم بيردسول بتدريس برنامج تعليمي مرة أسبوعيا خلال فصل الربيع كجزء من دراسات الماجستير لطلاب الاقتصادات النامية.

وقد يتغير رئيس مركز التنمية العالمية، ولكن تظل رسالته كما هي بالنسبة لبيردسول، ألا وهي الحد من الفقر حول العالم. وتقول بيردسول «الطريق لا يزال طويلا، ولكن الكثيرين يدركون الآن أننا جميعا في مركب واحد. إذ ينبغي علينا المتابعة والمراقبة والإبلاغ والضغط واستحداث أفكار ومنتجات جديدة كي يتمكن دعاة الخير من وضع الأمور في نصابها الصحيح». ■

آلان ويتلي كاتب ومحرر اقتصادي، وكان يعمل في السابق في وكالة رويترز، وهو محرر ومؤلف مشارك في كتاب بعنوان The Power of Currencies and Currencies of Power.